إنسان من قيود الدين والأخلاق وإلا عمت البلية بالأدب وصار شراً ووبالاً على الناس . واتسع الخلاف وتشعب بين الفريقين . بعض أنصار الجديد الغربي في توهين السد الاسلامي الذي يجدونه قائماً في وجوههم أينما تلفتوا فيزعمون للناس من طرف خفي أن القرآن من صنع عبقري لا من صنيع الله ، وأنه آية فنية لكنه آية فنية إنسانية لا معجزة إلهية ، وإذن فينبغي أن يخضع لما يخضع له كل عمل إنساني من النقد والفحص والبحث العلمي فيما يزعمون، ويهب لدرء هذا الافك العظيم كل كريم نجد من رجال الأدب أو غير رجال الأدب من المسلمين ، ويقاتلونهم على إعجاز القرآن وحرمته وتقديسه ، ويدعونهم إلى خطة إنصاف ليس من إنصاف بعده : إما أن يتركوا القرآن وشأنه لا يتعرضون له بشيء إن كانوا لا يؤمنون به ، وإما أن يذكروه ويدرسوه إذا قدروا على دراسته ، ولكن بنفس روح الاحترام والاحتياط والاجلال الذي يدرس به العلماء الشمس والنجم والبحر وما إليها من الظواهر الكونية الثابتة التي لا يد في خلقها للانسان . وهي كما ترى كلمة سواء غاية في الانصاف ، لو كان لدى أنصار الجديد الروح الذي يقضي بقبولها لما كانت هناك تلك المرارة في القتال التي جلبها عدم قبولهم شطر الكلمة الأول ، ولاصطلح الفريقان وتحابا واجتمعا على التجديد الحق في الأدب وغير الأدب لو أن أولئك قبلوا شطر الكلمة الثاني . وإذن لما كان هناك أنصار جديد وأنصار قديم ، ولكن فئة واحدة من المجددين المصلحين الذين يعملون بالحق للحق ضمن دائرتي العلم والدين اللتين يشملهما الاسلام جميعاً

إن من أشد ما يؤسف له أن تفترق قوة أولي القوة في الشرق هكذا فرقتين، إحداهما تهدم والأخرى تدفعها عن الهدم، فيشتغل الفريقان جميعاً عن التجديد والبناء ، وعدوهما واقف لهما بالمرصاد . لكن التمني لا يجدي والواقع هو الواقع . فستستمر المعركة بين أنصار جديد الغرب وأنصار قديم الاسلام كأشد وأحمى ما تكون حتى يقضي الله بينهما بحكمه . ومهما يكن من ذلك فالموقف بين الفريقين هو في صميمه كما صورنا . وعلى أساسه يمكن النقد في غير كبير عناء أن يضع الأمر بينهما في نصابه فيما كان وفيما يجد من خلاف . وسنضرب فيما نستقبل من الكلمات مثلاً لذلك بتبيين وجه الحق فيما احتدم حول أدب الرافعي رحمه الله من جدال

محمد احمد الغمراوي

بين الرافعي والعقاد

على هامش المعركة

للأستاذ محمد رفيق البابيدي

سيدي الأستاذ محرر الرسالة

كتب الأخ الصديق الأستاذ الطنطاوي في معرض التعليق على ما يكتبه الأخ الصديق والزميل الأستاذ سيد قطب . وآثر أن يشتد فيما كتب وأن يسرف في سوء الظن فيما يكتبه الأستاذ قطب

وبيني وبين الأستاذين الطنطاوي وقطب من الصلة ما يسمح لي أن أقول كلمة في الموضوع الذي بسطا القول فيه ، ومن حق كزميل للثاني عرفه حق المعرفة أن أرد على أخي الطنطاوي بوفق قوله : إنه لا يعرفه وإنه الخ ... فلقد سبق أن عرف الأستاذ الطنطاوي الأستاذ سيد قطب وزامله أيضاً حين كنا ثلاثتنا في فصل واحد وفي سنة واحدة من مدرسة دار العلوم العليا ، على أني لست بسبيل تقرير هذه المعرفة فهي ليست بشيء في الموضوع الذي أريد أن أقول كلمتي فيه

* * *

كنت قبل أن يكتب الأخ الطنطاوي أوشك أن أكتب في موضوع الخلاف بين الأستاذة المريان وشاكر وقطب ، وأنا أعرف رأي الأخ قطب في الرافعي من قبل، وأعرف أنه رأي «غير تقليدي، فلقد كنت في دار العلوم وكانت حلقة الاخوان تضم قطباً وكنا دائماً على طرفي نقيض ، فجماعة منا مع الرافعي وأخرى عليه، وكان على ما أذكر الأخ قطب لسانها ، فليس حقاً أن يتهم الأستاذ قطب في رأيه هذا، فهو رأي عقيدة — وإن كنا نخالفه فيها كل المخالفة — ثم إن الأخ قطباً من إخواننا النابهين المعروفين في البيئة الأدبية، وليس من العدل أن يجهل هذا الجهل ديري بهذا النبز من القول الذي جاء في مقال الأخ الطنطاوي

وإذا كان خطأ مناظرك في الرأي مدعاة للتجهيل والوقوع فيه وفي فضله وفي علمه فلم يبق ثمة مجال للجدل والنقاش

الأدبيين، وهنا اتهام صريح للرسالة ومحرر الرسالة فى إفساح المجال لمن لا يعبأ بقوله أو رأيه . وأعتقد أن الأخ الطنطاوى على قدرى إياه كل التقدير وإعجابى به كل الاعجاب قد تنكب أصول النقاش والنقد فى الأدب فى الوقت الذى يتهم سواه بهذا الجنوح ...

* * *

بعد هذا نحب أن نلج موضوع النقاش من بابه ولا نثب من النافذة ، فالأستاذ سيد قطب على ما نعتقد ونرى وعلى ما يتسع له علمنا واطلاعنا لم يوفّق بعض التوفيق فى رأيه فى فقيد الأدب العربى المرحوم الرافعى، كما أنه لم يوفق ولا بعض التوفيق فى نفاحه عن الأستاذ الكبير العقاد

وأصوله وقواعده التى اتجه إليها فى كتابته فى هذه الموازنة على تسامحنا بهذه التسمية ليست أصولَ الملمّ بأدب من وضعهما في كفتى الميزانُ الفنى . فلا هو يستطيع أن يقول : إنه قرأ كتب العقاد جميعها — على ما يذهب إليه من وجوب اجتماع أكثر من ثقافة واحدة لفهم ما يكتب أو يقول الأستاذ العقاد — ولا هو يطيق أن يقول أيضاً : إنه قرأ الرافعى قراءة المستوفى المستكمل

والأخ الأستاذ سيد قطب معى فى أن ما تناوله من أدب الرافعى غيض من فيض ، ولعله جنح إلى ما يمكن أن يوقع فيه واختاره ليقول فيه قوله الذى قال ، وما يمكن أن يقال فى مثل هذا من شعر الرافعى يقال فى مثل هذه القصيدة التى أضعها بين يدى القراء من شعر العقاد ، قال الأستاذ من قصيدة يعارض فيها ابن الرومى[1] :

هل يعرف البيضُ أن الحسن جوهرة
لها الثراء ثراء النفس أثمانُ
يقنو نفائسه من لا يسوّمه وقد يعز على الغلّاء قنيان
يا جوهراً بت أرعاه على أمم رعى الشحيح ومالى فيه سلطانُ
ما فى يدى منه لا عينٌ ولا أثرٌ ولى عليه منالٌ وأعيانُ
قد نلت ما نلت من حظ به عرضاً وقد تولى حظى منه فقدان
إنى على الرغم من عينيك مفتقرٌ يا ضوء قلبى فان القلب مِدْجانُ

وحسبى أن أسأل الأستاذ قطباً رأيه فيها دون أن يكون منى أى تعليق . . .

* * *

(١) ديوان العقاد ص ٤٠

بعد هذا فالحق أن الأستاذ المريان كان منصفاً كل الانصاف فيما يؤرخ به حياة الرافعى — رضوان الله عليه — وليس معنى هذا العصمة من كل خطأ ، وأىُّ الكاتبين الكامل ؟ ؟

ومن الحق أن الأستاذ قطباً تقحم الموضوع على الأخ المريان وأراد أن يثير بين أنصار الرافعى وأنصار العقاد، والفريقان كثر، معركة أدبية لعل من الخير لو ثارت على غير هذا اللون من البحث، والجدلُ البعيد عن الأثرة يفتق القرائح، وربما جاء بخير كثير وأفاد منه النشء والبيئة الأدبية ، ولربما كشف عن مواهب كانت مستورة ، وعلم كان خبيئاً ، وفضل لم يكن يعرفه القراء

وقد قرأت ما كتبه الأستاذ قطب فى نقده فوجدت ألمعية واستعداداً ذاتياً وقوة وبراعة واتساع أفق ، ولكنى لم أجد فى تضاعيف هذا كله الحجة التى تقنع أو تمسح ما فى نفسى مما قرأت لها من أدب الرافعى وأقرأها إياه الكاتبون فى أدب الرافعى

والرافعى — أحسن الله للأستاذ الزيات — كان كنزاً مخبوءاً فى نثره كشفته الرسالة لقراء العربية عامة بعد أن كان معروفاً عند الخاصة فى كتبه وفى نتف من بيانه الذى كان يتناقله الأدباء من هنا وهنالك

وقد يجوز للأستاذ قطب أن ينكر ناحية من نواحى أدب الرافعى وأن يدلل على ذلك بقوة، ولكن لا يجوز فى منطق سائغ أن ينكره أديباً على الاطلاق

كما يجوز لى — على صغرى وضيق أفقى — أن أنكر شاعرية العقاد إنكاراً أود لو يتسع لى المجال من فسحة هذا العمل الآلى لأبرهن عليه بما يسعنى من حجة أو تدليل ، على أن إنكاري هذا ليس بضائر فضل الأستاذ العقاد وهو فى رأيى الكاتب الناثر الجبار فى عمق مادته وسعة اطلاعه وغزارة ثقافته

أما أن أثب وثباً منقطع النظير فأنكر العقاد أديباً وأتجاهل رأى الكثرة الكاثرة من قرائه وأصحاب الرأى الحسن فيه فذلك مما لا يقفنى موقف المسموع الرأى عند أهل البصر فى الأدب

* * *

وقرأت للأخ قطب مقاله الأخير ومحاولته أن يجمل من